

كلمة سواء : مواجهة الخطر الأصفر

مع غزوة تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) للعراق في مطلع حزيران/يونيو ٢٠١٤ كانت الأوضاع في المنطقة تنقلب رأسا على عقب.

للمرة الأولى تمحى الحدود الجغرافية بين سوريا والعراق، وهي تهدد بتغييرها ايضا مع دول اخرى مثل لبنان او الكويت او الأردن أي حيث يمكن ان تصل اليها.

ليست المرة الأولى التي تشهد فيها الجغرافيا الاسلامية تنظيمات متشددة مثل "داعش". فالنماذج الدينية الشبيهة تملأ تاريخ العرب والمسلمين. وكلها تحفل بدرجات متفاوتة لجهة الفظاعات المرتكبة. غير ان "داعش" قد تكون الأكثر تطرفا من بينها كلها.

ولعل الخاصية المهمة لهذا التنظيم انه لا ينتمي الى هوية وطنية معينة كأن يكون معظم اعضائه من بلد معين. اذ تفيد التقارير المختلفة ومنها التقارير الغربية ان أعضاءه ينتمون الى جنسيات جميع الدول العربية والمسلمة كما ان نسبة المشاركة في صفوفه من المسلمين الذين يحملون جنسيات غربية، ومن كل الدول الغربية دون استثناء، هي نسبة عالية تعد بالمئات بالنسبة لكل دولة وربما أكثر بما يجعل عدد هؤلاء الذين يسمون أنفسهم "جهاديين" والقادمين من الغرب يعدّ بالآلاف.

أعلنت "داعش" دولتها تحت اسم "الدولة الاسلامية" وأعلنت زعيمها، أبو بكر البغدادي، خليفة للمسلمين. وبدأت مبايعتها من تنظيمات اسلامية في عدد كبير من الدول الاسلامية.

أي اننا امام تنظيم أو "دولة" عابرة للحدود. دولة تملك كل انواع الأسلحة البرية وعديدا بعشرات الآلاف. والأخطر انها تعتنق عقيدة متشددة لا تعترف بكل من خالفها سواء كان سنيا أو شيعيا وبطبيعة الحال ان كان مسيحيا.

أعدت "داعش" رسم خطوط الصراع والاشتباك داخل مكونات العالم العربي والاسلامي. كان الصراع بين سلطة ومعارضة. وقد يتطور الى حرب أهلية داخل البلد نفسه وينتهي

بحلول او تسويات او انقسامات. خطوط الاشتباك التي فرضتها "داعش" تجاوزت السائد منها لم يعد يعرف هدفها او أهدافها. تستهدف الأنظمة القائمة مباشرة. تهدد اخرى لم تصل إليها على قاعدة "اننا قادمون". تستهدف المعارضات كلها هنا وهناك. اما أساليب تحركها ونظام عقوباتها فهي ماركة مسجلة باسمها لجهة الإيغال في التوحش والتمثيل بالجثث. اما تفسير "داعش" للنص الديني والنبوي فهو يقع خارج التاريخ والأعراف والعقل واحترام النفس البشرية سواء اكانت امرأة او رجلاً او طفلاً او حتى جنينا.

لعبت "داعش" على الصراعات بين المسلمين. حتى اذا انقضت على طرف اعتبر الآخر المعادي لهذا الطرف انه يخدمها بهذا الانقضاض. وقد شهدنا على ذلك فتاوى العديد من رجال الدين ومواقف العديد من السياسيين عندما احتلت داعش اكثر من ثلث العراق ووصفوا ذلك بالثورة العارمة. ولم يخرج، مثلاً، قادة اسلاميون حاكمون في بلد "علماني" مثل تركيا عن ركوب المركب عينه من اعتبار داعش مجرد حركة تعبر عن ردة فعل على تهميش الجماعات السننية هنا وهناك. علما ان هؤلاء المهمشين كانوا، قبل غيرهم، في طليعة المستهدفين من تصفيات داعش في العراق وسوريا.

نحن امام واحدة من اخطر الأدوات التي تستهدف شذمة الأمة العربية والاسلامية. التحالف الدولي ضد الإرهاب الذي تشكل في قمة جدة في ١١ أيلول/سبتمبر خطوة مهمة على طريق مواجهة الإرهاب. غير ان استبعاد دول وقوى معنية بمحاربة الإرهاب اكثر بكثير من الدول الموقعة على بيان جدة، ومنها ايران وسوريا، عن هذا التحالف، يجعل من الضروري اعادة النظر في بنيته خصوصا في ظل الوظيفة الدولية التي يُستخدم من أجلها تنظيم "داعش" وهي تدمير الكيانات السياسية والبنى الاجتماعية وتجذير ثقافة الحقد والكراهية فضلا عن تشويه هائل لصورة الإسلام النقي الصافي. إذا كان من درس يؤخذ من حالة "داعش" وخطرها فهو ان تدفع كل العرب، من مسلمين ومسيحيين وغيرهم من اتباع المعتقدات الأخرى، وكل المسلمين من أتباع كل المذاهب، ان يلتقوا على كلمة سواء فيما بينهم من جهة وعلى وقفة مواجهة حاسمة من جهة اخرى، تنهي هذا الهواء الأصفر الذي لم تشهد مثله بلادنا والذي لا يخدم سوى العدو الاسرائيلي ومن يحتضنه من دول وقوى في العالم لا تريد سوى الشر بنا ويحاضرنا ومستقبلنا.

رئيس التحرير